فاعلية تسمية الشخصية
في السرد القرآني

الكلمات المفتاحية

(التسمية ، الشخصية ، السرد ، القرآن)

أ.م.د. ناجح سالم موسى المهنا

جامعة البصرة / كلية الاداب / قسم اللغة العربية

The effectiveness of Naming Character in Quranic Narratology

Relative Worde

(Naming ,The Character , Narratology, the Quran)

Asst.prof
Najih Salim Mousa ALmihanna
(ph.D)
University of Basrah / College of Arts / Department of Arabic

ABSTRACT

Being a sourcebook of religion and jurisprudence , the Holy Quran has provided the Quranic narrative character with some flavor of art when introducing him or her to the reader. This Holy Book is creative linguistically and technically to the extent that this very masterpiece of literature presents the history figures and literary characters creatively so as to perform its lexical function well as far as the holy text is concerned. Naming is considered to be one of technical elements as it is one of simplest types of personification. Each attempt at naming indicates action, sense, and individuality. It is the name that specifies the character in question and makes him or her well-known and unique.

يضفي القران الكريم على الشخصية القرآنية طابعا فنيا عند تقديمه لها ، بوصفه كتاب عقيدة وتشريع يتميز بإعجازه اللغوي والفني والأدبي، ويقدم الشخصيات التاريخية أو المرجعية تقديما فنيا تؤدي من خلالـــــه وظيفتها الدلالية في النص القرآني، وتأتي تسمية الشخصية من بين المكونات الفنية التي تؤدي وظيفة دلالية في السرد القرآني، فالتسمية كما يرى رنيه هي ابسط شكل للتشخيص، فكل تسمية هي نوع من إضفاء الحيوية وإذكاء الحس ، وإعطاء الفردية ، كما أن الاسم هو الذي يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية

وفي هذه القراءة سيحاول الباحث تتبع حركة عدد من شخصيات السرد القرآني وملاحظة مـــــدى تأثير تلك الحركـــة على طبيعة تقديم الشخصية مركزين على عنصر التسمية وتحولاته ، في القصة القرآنية التي تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة.

فاعلية تسمية الشخصية في السرد القرآني

مقدمة

يمتلك السرد القرآني جوانب فنية عديدة تعبر عمّا يتصف به القرآن الكريم من اعجاز ، وقد حاولت في هذه الورقة الوقوف عند جانب من تلك الجوانب الفنية المتمثل بتسمية الشخصية القرآنية وتحولاتها من حيث الاظهار والإضمار بحسب المواقف التي تواجه الشخصيَّة ، فالسرد القرآني يراعي ذلك ، فلإظهار التسمية في السرد القرآني دلالته ، كما يكون لإضمارها دلالته .

الشخصية في الفن الروائي:

تعددت الدراسات حول الشخصية وأهميتها في الأعمال الروائية واحتدم النقاش حولها بشكل لم يحتدم حول أي مُشكّل من مشكّلات السرد الأخرى وما ذلك إلاّ لأهميتها [١]، إذ بها يبني الروائي رؤاه ويظهر محتوى العمل الروائي وايديولوجيته [٢].

وكما يرى فيليب هامون فـــ ((إنَّ حضور الشخصيات في الجنس الروائي غالبا ما يتحول إلى إشارات مبرمجة وفق توجهات اللعبة السردية ، والاختيارات الجمالية والأديولوجية للكاتب)) [٣].

والى جنب ذلك كله نجد الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكّلات السردية الأخرى حيث انّها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة (Le monologue iterieur) ، وهي التي تصف معظم المناظر وهي التي تنجز الحدث ، وهي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه من خلال سلوكها وأهوائها وعواطفها ، فلا احد من المكونات السردية الأخرى يقتدر على ما تقتدر عليه الشخصية [٤]

فالشخصية بوصفها عنصرا قابلا للتأويل ومفعلا للحركة داخل النصوص الادبية تستدعي منا ان ننظر اليها بمنظار جديد بوصفها اداة فنية يبدعها المؤلف لوظيفة هو مشرئب الى رسمها ، في شخصية السنية قبل كل شيء ، بحيث لا توجد خارج الألفاظ بأي وجه ، إذ لا تعدو أن تكون كائنا من ورق [٥]

مقاربة النص القرآني :

ولا يخفى أن القران الكريم ليس نصا تخيليا شأنه شأن العمل الروائي إلاّ أنَّنا قد ننجح في مقاربته مستفيدين من بعض التقنيات التي نقارب بها العمل الروائي خاصة تلك التي تكشف لنا فاعلية الشخصيات في السرد القرآني من خلال التعامل معها على أساسها البنائي كونها كائنات من ورق بتعبير رولان بارت وتودوروف [٦] والنظر إليها على أنَّها قضية لسانية قبل كل شيء[٧]

وهنا يكون النظر إلى النص القرآني بوصفه نصاً أدبياً قابلاً للوصف والتحليل، إذ ((تكمن الفاعلية المستمرة للعمل الأدبي في عمقه البنائي، وقدرته على إثارة أفكار المتلقي ومشاعره)) [٨]

فالتعامل مع الشخصية القرآنية في ضوء السردية التقليدية القائمة على الإلقائية – لم يعد مجديا خاصة في علاقة السرد ببناء الشخصية ، الأمر الذي يجعلنا نسترشد المعطيات الحداثية في مقاربة الشخصية القرآنية ، لانها – كما تبدو من خلال مظهرها البنائي – تمثل سلسلة من الممارسات التعبيرية التي تتلون بموازاة مع المضمون الذي سيقت فيه [٩]

إنّ الشخصيات التي يرد ذكرها في قصص القران الكريم التي ركزت عليها هذه الدراسة هي شخصيات حقيقية لها وجودها التاريخي تختلف عن تلك الشخصيات التخييلية التي يصنعها الروائيون، لذلك نستطيع ان ندرجها ضمن الشخصيات المرجعية حسب تصنيف فيليب هامون . [١٠]

التسمية في السرد القرآني :

ولا ننسى هنا ما يضفيه القران الكريم على تلك الشخصيات من طابع فني عند تقديمه لها ، فالقران الكريم كتاب عقيدة وتشريع يتميز بإعجازه اللغوي والفني والأدبي، ويقدم الشخصيات التاريخية أو المرجعية تقديما فنيا تؤدي من خلاله وظيفتها الدلالية في النص القرآني، وتأتي تسمية الشخصية من بين المكونات الفنية التي تؤدي وظيفة دلالية في السرد القرآني، فالتسمية كما يرى رنيه هي ابسط شكل للتشخيص، فكل تسمية هي نوع من إضفاء الحيوية وإذكاء الحس ، وإعطاء الفردية [١١]. كما أن الاسم هو الذي يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية[١٢]

في مجال الرواية تناول الدارسون والنقاد موضوع مسألة علاقة الاسم (الدال) بمسماه (المدلول) لما تسمح به الطبيعة التخييلية التي يرتكز عليها فن الرواية في بناء الشخصية، مستفيدين مما جاء به دي سوسير من نقاشات حول طبيعة تلك العلاقة وهل هي علاقة اعتباطية

أم اصطلاحية، أم قصدية ، فهناك من الروائيين من يستعمل اسم الشخصية بطريقة اعتباطية غير معللة، وهناك من يأتي بها بقصد يريد بها دلالات معينة ، والى ذلك يشير الباحث المغربي حسن بحراوي بقوله : « يسعى الروائي وهو يضع الأسماء لشخصياته أن تكون مناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته، وللشخصية احتماليتها ووجودها. ومن هنا مصدر ذلك التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات الروائية. وهذه المقصدية التي تضبط اختيار المؤلف لاسم الشخصية (...) لا تنفي القاعدة اللسانية حول اعتباطية العلامة، فالاسم الشخصي علامة لغوية بامتياز» (١٣) .

وهناك من يخالف هذا الرأي إذ يرى ((أن الاسم الذي يُطلق على الشخصية السردية لا يعني إعطاءها صفة لازبة، ولا توكيد شرّيَتِها أو خيريتها من مجرد الاسم الذي يُطلق عليها، فأيُّ علامة يمكن أن تحل محل الاسم ، كما أنَّ أي ضمير من الضمائر يمكن أن ينهض بهذه المؤونة ولا حرج))(١٤)

هذا على مستوى السرد الروائي التخييلي البشري، ولكن على مستوى السرد القرآني كيف يُسهم اسم الشخصية القرآنية في سير أحداث القصة القرآنية أو كيف تؤثر أحداث القصة في اسم تلك الشخصية؟

لما كان النص القرآني نصا إلهيا يختلف عن سائر النصوص التي ينشيئها البشر فإنَّ هذه الدراسة لا تبحث عن العلاقة بين الأسماء الواردة في السرد القرآني مثل اسم إبراهيم ويوسف ويعقوب وزكريا ومريم وعيسى وغيرهم بوصفها دوال وبين المسمّى أو المدلول، من حيث الاعتباطية أو القصدية، بل أنّها تبحث في طبيعة تقديم السرد القرآني لهذه الشخصيات عن طريق التفنن بمكوِّن التسمية من خلال التصريح والإظهار أو الإضمار،.. أو ما يمكن أن نسميه بالتحولات التي تلحق صورة الاسم من جراء التقلبات التي يكون عرضة لها في السياق السردي القرآني *

وهنا يمكننا أن نطرح أسئلة نحاول أن يكون الجانب التطبيقي من هذه الورقة جوابا عليها هي: على مستوى السياق السردي القرآني، هل يخضع موضوع تحول الاسم لتطورات الخطاب القرآني ؟ وهل يمكن أن يكون تحول الاسم فجائياً، أو بلا دلالة، أم أنّه يأتي ليؤدي وظيفة دلالية وجمالية ؟

ومما لا شك فيه أنَّ النص القرآني بوصفه نصا معجزا لا بد أنْ نتوقع منه أن يقدم لنا تقنيات في السرد تفوق ما نجده في الفن الروائي من تقنيات وتفنن بعناصره المكونة التي يكون

مكون التسمية واحدا منها ، فإذا ما جئنا إلى الشخصيات القرآنية محل الدراسة فنحن نجد الخطاب القرآني يقدمها تقديما فنيا من خلال التفنن بمكون التسمية

وهذا التفنن فضلا عن التفنن بمكونات السرد الأخرى هو الذي يجعل من أصحاب هذه الشخصيات بالرغم من حقيقتهم ووجودهم التاريخي ينتقلون من حقل الشخص الذي يعاملهم تعاملا تاريخيا إلى حقل الشخصية الذي يكون فيه حضورهم حضورا فنياً إلى جنب ما لهم من حقيقة تاريخية ، وقد نبهت السرديات، مستندة إلى المقاربات البنيوية والسيميائية ، لفك الارتباط بين الشخص والشخصيّة وعدِّ الشخصية كائناً ورقيّاً أو مجرّد دور أو فاعل [١٥]، وهذا يعيننا على مقاربتها مقاربة فنية أدبية بعيدا عن أي إسقاطات خارجية .

أو أنَّها كما يرى فيليب هامون (PH . Hamon) تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر مما هي تركيب يقوم به النص، وان ما به تُحدُّ هو بطاقتُها الدلالية وهي ليست معطى جاهزا بل هي إنشاء يتم تدريجيا على امتداد القراءة فهي هنا، أي الشخصية، بتعبير (رولاند بارت) نتاج عمل تأليفي، أي أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم علم يتكرر ظهوره في الحكي [١٦] .

وتماشياً مع هذا التصور تصل الشخصية إلى إعطائها صبغة دلالية قابلة للتحليل والوصف أي أنها بمثابة سيميائية دالة ، (signe) علامة [١٧] تتخذ عدة أسماء أو صفات تلخص هويتها ... وهكذا فان صورتها لا تكتمل إلا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته، ولم يعد هناك شيء يقال في الموضوع [١٨].

فالمقاربة الدلالية للنص القرآني تعطي الدارس حرية كشف ما يمكن أن يحمله هذا النص من دلالات وهو غني بها بما انه نص معجز.

ومن المعروف أن اسم العلم قد يطلق على شخص أو مكان أو حيوان أو شيء، ولكننا سنحصره في هذه الدراسة فيما يُطلق على الشخص من تسميات وتعيينات وإحالات وضمائر. ومن ثم، نبعد الأسماء العلمية الدالة على الأمكنة والحيوانات والأشياء[١٩]

يمثل الخطاب القرآني أعلى درجات الإعجاز والتفنن في رسم الشخصيات وطرق تقديمها، وتأتي التسمية واحدة من أركان ذلك التفنن في الرسم والتقديم. وقد تعددت مظاهر ذلك الإعجاز بتعدد اعتماد الشخصية في الخطاب القرآني، وسنحاول تتبع حركة عدد من

شخصيات السرد القرآني وملاحظة مدى تأثير تلك الحركة على طبيعة تقديم الشخصية مركزين على عنصر التسمية وتحولاته ، من ذلك ما جاء في السياق السردي القرآني مقدما أصحاب الكهف بوصفهم شخصيات قصصية قرآنية إذ يمثل المضاف والمضاف إليه (أَصْحَابَ الْكَهْفِ) في: ((أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا)) [٢٠] شخصيات رئيسة في القصة التي يسردها القران الكريم، وقد اكتفى القرآن الكريم بتعريفهم بإضافتهم إلى المكان(الكهف)، وترك التصريح بأسمائهم، فقد حل تركيب المضاف والمضاف إليه :(أصحاب الكهف) محل الأسماء الشخصية لهم، ليحل محلها كذلك في الوظيفة الدلالية ، وقد اكتفى القران الكريم بالإشارة إلى أنهم مجموعة من خلال التعريف بأنهم أصحاب، ومن الملاحظ أن الخطاب القرآني هنا موجه إلى الناس ولكن من خلال النبي الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم ، وهو هنا يصفهم ويعينهم ويحددهم بإضافتهم إلى الكهف وهذا يعني أنَّ القران الكريم هنا يذكرهم ، بوصفهم ينتمون إلى تاريخ سابق على زمن الخطاب القرآني الموجه في لحظته ، فهم الذين سمع بقصتهم الناس ، وعرفوهم بارتباطهم بالمكان (الكهف) الذي أووا إليه . وهذا ما لا نجده في الآية اللاحقة لهذه التي سبقت إذ نجد الخطاب القرآني ينتقل بنا إلى اللحظة الماضية من حياتهم ، وهم أحياء يتحاورون، ونجده ينتقل تدريجيا إلى تقريب أعمارهم أو الإيحاء بها بقوله تعالى ((إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا))[٢١]، فنلاحظ هنا مجيء مفردة(فتية) التي من خلالها يستطيع المتلقي أن يحدد بشكل تقريبي أعمار أصحاب الكهف ، وقد جاءت المفردة مُعرّفة إلا أن القرآن الكريم لم يصرح بأسماء أولئك الفتية، ولكن سياق الآية يوضح طبيعة توجههم وعقيدتهم كما يُلمح إلى ما كانوا فيه من أمر تمثل بمطاردة السلطة لهم وهذا ما يبينه القران الكريم على لسانهم : ((فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا)).

ومع متابعة السرد القرآني نجد أنفسنا أمام شخصية من الشخصيات التي لم يصرح القران الكريم باسمها بل انه اكتفى بذكرها نكرة هي شخصية الغلام: ((فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا))[٢٢]، ونجد أنفسنا هنا أمام حالة يمكن أن نطلق عليها عبارة : (التستر على الاسم) أو تعرض اسم الشخصية للاختفاء المقصود.

فالغلام هنا شخصية لا تحمل اسما يفيد في تحديد ملامحها أو وظيفتها ، وهو شخصية لا تقوم بالتدخل في مسار أحداث القصة القرآنية أو التأثير فيها بوصفها شخصية تقوم بفعل ما يؤدي إلى تحريك الأحداث وتقدمها ، ولكن أهمية وجود هذه الشخصية تكمن في ما قام به الرجل

الصالح صاحب النبي موسى عليه السلام كما تشير الآية:((فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا))[٢٣] وما سيترتب على هذه الصحبة من أحداث وأفعال يقوم بها هذا العبد الصالح.

لم يؤثِّر مجيء شخصية الغلام فاقدة للتسمية في تحقيق الغاية التي تتمثل بضرورة التمسك بالأيمان بالله سبحانه وتعالى، كما لم يؤثر مجيء العبد الصالح فاقداً للتسمية كذلك، فالشخصية القرآنية هنا لا تُعرف بالاسم العلم الخاص بها، بل بالوظيفة التي توكل إليها .[٢٤]

فالاهتمام يكون منصبا هنا على ما كان يتصف به أبوا الغلام من إيمان وما يمكن أن ينالاه من الله سبحانه وتعالى من العناية الإلهية وهذا ما تبينه الآية الكريمة : ((وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا))[٢٥]، فالتسمية لن تضيف قوة إلى تحقيق تلك الغاية كما أن فقدانها لم يؤثر في التحقيق . فما هو مهم هنا في السرد القرآني هو الوظيفة التي تقوم بها الشخصية ودورها في تحريك الأحداث دون الاعتماد على طول دورها أو قِصَرِه . [٢٦] ، فالغلام وأبواه مع فقدهما التسمية لم يظهرا في السرد القرآني إلا أنهما كانا سببا في تحريك الأحداث التي جسدها فعل العبد الصالح . كما يتضح الإعجاز القرآني من خلال تكثيف الدلالات والاقتصاد بالملفوظ وهذا ما يبينه المجيء بالمثنى الدال على الأبوين (أبواه مؤمنين)، فهذه الصفة تختزل تاريخ حياة الأبوين وسلوكهما دون الحاجة إلى الشرح والإسهاب أو الإطالة في ذلك التاريخ ، كما نجد التكثيف في الدلالة يتجسد في المجيء بتاريخ حياة الغلام وطبيعة سلوكه الذي جعل العبد الصالح يقدم على قتله، من خلال قوله تعالى ((فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا)) ، ويتضح هذا كلُّه جلياً ويؤدي الخطاب القرآني رسالته بالرغم من غياب التسمية .

وإذا ما قام العبد الصالح الذي آتاه الله علما بقتل ذلك الغلام رحمة بأبويه فإننا نجده في موقف آخر يقوم بحماية كنز غلامين يتيمين لم يصرح القران الكريم باسميهما كذلك، من خلال قيامه بإقامة جدار يريد أن ينقضّ، ((فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً)) [٢٧] وما كانت هذه الحماية إلا رحمة من الله تعالى لصلاح أبيهما كما تشير الآية الكريمة : ((وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا))[٢٨] . وهنا يكتفي القران الكريم بوصف الغلامين بـــالـــ (يتيمين) ويشير إلى إيمان أبيهما، وهو ما جعل رحمة الله تعالى تنصبُّ على ابنيه . فالإيمان بالله تعالى وصحة العقيدة هما المعنيان هنا، فأبوا الغلام الأول كانا مؤمنين ، كما كان حالُ أبي الغلامين أصحاب

الكنز، فكان جزاء الأبوين المؤمنين غلاما اقرب رحما ((فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)) [٢٩]. أما جزاء الأب الصالح فتمثل برعاية الله تعالى لابنيه حتى يبلغا أشدهما ليستخرجا كنزهما، وهذا يؤكد أنَّ مجيء الشخصيات: الأبناء في (الغلام، والغلامين)، والأبوين في (أبواه مؤمنين)، والأب الصالح في (أبوهما صالحا) فاقدة للتسمية لم يؤثر في أداء القصة للغاية المراد بلوغها وهذا عينه ينطبق على مجيء شخصية العبد الصالح ، فقد جاء فاقدا للتسمية، على الرغم من أهميته في تقدم الأحداث بما يقوم به من أفعال متتالية تجعل من النبي موسى (ع) يتساءل عن أسبابها ، فيقول له العبد الصالح ((قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)) [٣٠] ، وبعد كل مرة يكرر فيها موسى سؤاله نجد ذلك العبد يُذكّره بقوله ((قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا)) [٣١] ، فالمغزى الذي يريد القران الكريم أن يوصله هنا لا يرتبط بما تحمله الشخصية من اسم بقدر ارتباطه بما تؤديه من وظائف داخل الخطاب السردي فضلا عما هي عليه من صفات الإيمان والعلم ، وهذا ما جعل موسى وهو نبي الله تعالى يطلب من ذلك العبد أن يُعلّمه مما عُلِّم رشدا:((قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا))[٣٢]. وما يمكن ان نلاحظه في قصة النبي موسى مع العبد الصالح هو تبادل للمواقع بين الشخصيات ، من الإرسال إلى التلقي ، فالنبي موسى هو المرشد والموجه بحكم نبوته وموقعه الرسالي بين قومه نجده هنا في هذه الآيات يتحول من موقع الإرسال إلى موقع المتلقي الذي يتلقى إرسال الآخر[٣٣]. المتمثل بالعبد الصالح ، وما يمكن ملاحظته أن اسم النبي موسى يختفي من السياق السردي القرآني بعد أن يطلب إلى العبد الصالح أن يتَّبعه على أن يعلمه مما علمه الله تعالى ((فوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا)) [٣٤] وهذا يؤكد أنَّ الخطاب القرآني في مواضع معينة فيه يركز على الوظائف التي يمكن أن تؤديها الشخصية دون التركيز على اسمها عندما يكون ذلك مؤدياً للغرض. وقد يكون الهدف من ذلك فضلا عما ذكرناه إبعاد المتلقي عن نزعة تقديس الشخصيات والتعلق بها [٣٥] .

أما في قصة النبي يوسف عليه السلام في سورة يوسف فقد جاءت مفردة (غلام) تعبر عن شخصية يوسف المبهمة والغريبة بالنسبة للقافلة السيارة التي عثرت عليه في غيابت الجُبّ : ((وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ۖ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[٣٦]، إلا انه شخصية تحمل اسمها الذي تُعرف به بين الآخرين الذين تربطهم معه صلة ، ومنهم أخوته الذين اجمعوا على ان يلقوه في غيابت الجُبّ ((قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ)) [٣٧] ، فهو هنا شخصية يقدمها القص القرآني باسمها الصريح ، فالله تبارك وتعالى يقص على نبيه الكريم

أحسن القصص : ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)) ، [٣٨] ((ولا عجب ان تكون هذه السورة بما احتوته من قصة ذلك النبي الكريم ، ومن التعقيبات عليها بعد ذلك ، مما يتنزل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والجماعة المسلمة معه في مكة... تسلية وتسرية، وتطمينا وتثبيتا للمطاردين المغتربين الموحشين))[٣٩] ، ونجد يوسف في هذا القصص شخصية لها محدداتها الاجتماعية والأسرية فهو ابن نبي من أنبياء الله : يعقوب يحاوره ويقصص رؤياه عليه ، وله أخوة ، وهو ابن أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ، ((وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) [٤٠] ، والملاحظ أن اسم يوسف يتردد ويتكرر في الآيات الأولى التي تسبق عملية العثور عليه من قبل القافلة (السيارة) ، وهذا الذكر للاسم يجعل الشخصية تكتسب حضورا اسريا واجتماعيا وتاريخيا داخل القص القرآني :

– ((إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ))[٤١]

– ((لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ)) [٤٢]

– ((إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [٤٣]

– ((اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ))[٤٤]

– ((قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ))[٤٥]

– ((قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ))[٤٦]

– ((قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا

صَادِقِينَ)) [٤٧] .

ونلاحظ أنّ يوسف الشخصية القرآنية ذات الحضور الأسري والاجتماعي والتاريخي داخل القص القرآني تفقد اسمها وهويتها بعد أن يقوم الأخوة بإلقائه في غيابت الجب ، ليكتسب داخل السرد القرآني لفظ (غلام) التي تؤكد ما اعلنه أصحاب القافلة (السيارة) من إبهام وغموض . ((قَالَ يَا بُشْرَىٰ هذا غُلَامٌ)) [٤٨]. ليستمر هذا الإبهام والغموض وضياع الهوية بالنسبة للآخرين مجسدا في الآيات اللاحقة التي تأتي بعد العثور عليه من خلال الانتقال من إطلاق لفظ (غلام) على يوسف إلى الإشارة إليه داخل السرد القرآني بضمير الغائب :

- ((وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ))(٤٩)

- ((وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) (٥٠)

- ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)) (٥١)

- ((وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ
مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ))(٥٢)

- ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلَصِينَ)) (٥٣)

- ((وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا
أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (٥٤)

- ((قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
الْكَاذِبِينَ)) (٥٥)

- ((وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ)) (٥٦)

- ((فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)) (٥٧)

- ((قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا
مِّنَ الصَّاغِرِينَ))(٥٨) .

فيوسف الشخصية التي لها ذلك الحضور الاجتماعي والفاعلية التي تتجسد من خلال حركته داخل وسطه الاجتماعي يتحول في السياق السردي القرآني إلى شخصية مبهمة بالنسبة للآخرين: (أصحاب القافلة)، ويفقد هويته ، ليُعبر عنه بالضمير الدال عليه ، سواء أكان الضمير دالا على الغائب أم كان دالاً على المخاطَب (بفتح الخاء) أو المتكلم وسواء أكان ظاهرا أو متصلا أو منفصلا وهذا ما تعبر عنه الألفاظ التي وردت : (وشَرَوْهُ ، كانوا فيه من

الزاهدين ، اشْتَرَاهُ، مَثْوَاهُ ، يَنفَعَنَا ، نَتَّخِذَهُ ، وَرَاوَدَتْهُ التي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ ، وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ، قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ ۖ وَهَمَّ بِهَا، رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ، لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ، وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ، قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي، إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ)

فيوسف هنا يفقد هويته مع فقدانه التسمية ويتحول إلى سلعة معروضة للبيع والشراء، ويرتجى الغيرُ من خلال إكرامه منفعةً ماديةً، ((عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا))، وهذا القول ينطبق على ما رغبت فيه التي راودته عن نفسه، فهي لم تر فيه غير ذلك الفتى صاحب الجمال الملائكي الذي قد يُشبع رغبتها الحسية ((وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) (٥٩) .

فهوية يوسف بالنسبة للقافلة التي عثرت عليه في البئر، وكذلك بالنسبة لمن اشتراه من مصر، وزوجه، هوية مفقودة، إلا أن يوسف يبقى محتفظا بهويته على مستوى الزمن المستقبلي الذي علمُه عند الله تعالى وهذا ما يعبر عنه قوله تعالى: ((وكذلك مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) وهذا التمكين المستقبلي من الله تعالى هو الذي سيؤدي بالسرد القرآني لإعادة اسم يوسف إليه .

أما على مستوى الزمن الحاضر الذي يعيشه يوسف الغلام ، آو الفتى الفاقد لهويته نجد أنفسنا أمام موقفين تعود فيهما لهذا الغلام ، أو الفتى هويته من خلال التصريح باسمه: (يوسف) على لسان الرجل زوج المرأة، أول هذين الموقفين هو الموقف الذي ثبتت فيه براءة يوسف ، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة على لسان ذلك الرجل المصري:((يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ))(٦٠) وهنا نلاحظ عودة الاسم (يوسف) أو عودة الهوية المفقودة مع ثبات البراءة .

كما نجد أنفسنا أمام عودة أخرى للهوية المفقودة بعودة الاسم للشخصية القرآنية (يوسف) بعد الاعتراف ببراءته من قبل المرأة التي راودته عن نفسه بقولها: ((.وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ)) (٦١)

وتعود الهوية ويُعترف بها على لسان الملك الذي دعا النسوة وسألهن عما وقع بينهن وبين يوسف: ((قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ

قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)) (٦٢) ، فقد ثبتت براءة يوسف في هذين الموقفين باعتراف المرأة نفسها بانها هي التي راودته عن نفسه ، وبشهادة نسوة المدينة، بأنه كان مثالا للعفة ((قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ))، ومع ظهور البراءة يُصرّح السرد القرآني بالاسم ، وكأنّ القران الكريم لم يشأ أن يُقحم اسم نبي الله يوسف (ع) في قضية شبهة هو أسمى من أن يرد اسمه فيها لذلك اكتفى السرد القرآني بالإشارة إليه بالضمير، وترك التصريح بالاسم .

وبين هاتين العودتين نلاحظ استمرار القرآن الكريم في سرد قصة يوسف مع الابتعاد عن التصريح بالاسم في المرحلة التي تلت العودة الأولى للاسم بعد ظهور البراءة ، وذلك انسجاما مع الواقع الذي كان عليه يوسف الذي اختار السجن مفضلا إياه على ما دعوه إليه من السُّوء وَالْفَحْشَاء ((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ)) ، فهو هنا سجين لم يعلن بعد انه نبي وابن نبي إلا انه يقوم بكشف هويته داخل السجن ويعلن إيمانه بالله الواحد ((يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ))(٦٣) ، ويعلن انه نبي ابن أنبياء الله ((قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ))(٦٤) ((وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ))(٦٥) ، وهذا الكشف هو الذي يؤدي لان يُرجع السرد القرآني إلى يوسف اسمه موصوفاً هذه المرة بالصديق مكتسبا هذه الصفة مما أدّاه من دور توجيهي ودعوة إلى الله الواحد القهار داخل السجن،((يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ)) (٦٦).

وبهذا يكون السرد القرآني قد أعاد ليوسف بوصفه شخصية قرآنية فاعليته داخل المجتمع المتمثل بالسجن ليمهد بذلك إلى الوصول إلى إعلان براءته على لسان المرأة وبحضور الملك الذي يطلب حضوره ليستخلصه لنفسه، وليكون يوسف على خزائن الأرض بطلب منه، وبهذا يكون فاعلا ومؤثر في المجتمع بمعناه الأوسع لما كان يمثله حكمُ مصر في تلك الفترة من التاريخ ((قَالَ اجْعَلْنِي على خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ))(٦٧)، وهنا يعود القران الكريم إلى التصريح مرة أخرى باسم يوسف ليتحقق التمكين المستقبلي الذي سبق ذكره في سياق السرد القرآني لعملية شراء الرجل ليوسف الغلام ليتحول التمكين إلى واقع حاضر: ((وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا

لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)) (٦٨) ، فقد جاء ذكر هذا التمكين في آية سبقت ((وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)) (٦٩).

وبعد هذا التمكين يعود اسم يوسف يتردد في سياق السرد القرآني فلا تكاد آية تخلو من ذكر اسمه، ويجسد هذا التردد ما كانت تمثله شخصية يوسف من فاعلية وحركة داخل المجتمع .

وإذا ما كان السرد القرآني قد أعاد ليوسف عليه السلام اسمه بعد أن ثبتت براءته ومكّن الله له في الأرض، فهو (أي السرد القرآني)، يأتي ليصل يوسف بتاريخه الأسري وهذا ما نلاحظه من ورود الألفاظ الدالة على قرابة الدم والرحم : (أخوة يوسف ، آوى إليه أخاه ، قال أنا أخوك ، وِعَاءِ أَخِيهِ ، مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ، مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ) وقد جاءت هذه الألفاظ مقترنة بذكر الاسم الصريح ليوسف، مؤكدة معنى التمكين الذي تحقق له .

- ((وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ)) (٧٠)

- ((وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (٧١)

- ((فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)) (٧٢)

أما لفظ (أخ) في قوله تعالى : ((قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ)) (٧٣) ، فلم تأت لتحمل الدلالة التي ذكرناها آنفا ، بل أنّ السياق القرآني اكتفى بها للدلالة على شخص يوسف دون أن يصرح باسمه لما كان في الموقف من شبهة وتهمة، كما هو الحال عندما لم يُصرّح باسمه عند موقف اتهامه مع امرأة العزيز، بينما نلاحظ مجيء الاسم صريحا في قوله تعالى :((فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ))، لما عليه حال يوسف من التمكين الحاضر، ففي كل موقف شبهة أو تهمة يمكن أن تمس قدسية شخص يوسف النبي نجد السرد القرآني يستغني عن ذكر الاسم بما يدل على الشخصية سواء أكان لفظا أم ضميرا.

وإذا كان الموقف فيه اعتراف من الآخرين بالظلم الذي لحق يوسف عليه السلام نلاحظ مجيء اسم يوسف صريحا على لسانهم وهذا ما نجده في الآية : ((فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ))(٧٤)

وتستمر عودة التسمية ليوسف في سياق السرد القرآني بقوة، وهي عودة منسجمة مع المواقف التي يذكر فيها اسمه، ويجسدها حزن أبيه النبي يعقوب عليه، وهذا ما تشير إليه الآيات:

- ((وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ))(٧٥)
- ((قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)) (٧٦).
- ((يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ)) (٧٧)
- ((وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ)) (٧٨)

لا يخفى هنا ما للتسمية في قصة يوسف من فاعلية في سياق السرد القرآني، جسدها ذلك التحول من الإفصاح إلى الإضمار أو العكس انسجاما مع تغير المواقف التي تجد الشخصية نفسها فيها، فالسرد القرآني يوصل إلينا من خلال ذلك التحول المستمر للتسمية ما وصل إليه يوسف من التمكين وثبات الهوية، حتى نجده يصرح لإخوته انه هو يوسف وقد منّ الله عليه وعلى أخيه : ((قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)) (٧٩)

ويعود السرد القرآني ليؤكد الامتداد التاريخي ليوسف الذي يقوي بشكل جازم عودة الهوية وثبات الاسم من خلال اجتماعه بأبويه : ((فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ)) (٨٠)

وهكذا نلاحظ فاعلية التسمية في قصة يوسف من خلال التحول من الاسم الصريح إلى الإشارة إليه بلفظة (غلام) ليُستغنى عنها مع تقدم الحدث بالضمير الدال عليه ، ليظهر مرة أخرى الاسم صريحا مع ظهور البراءة ، ليختفي مرة أخرى مع كل موقف فيه شبهة أو تهمة تمس النبي يوسف ، ليظهر مع نهاية القصة صريحا على لسان يوسف نفسه ((قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي)).

وهذا جانب يسير من الجوانب الفنية العديدة التي تجعل من قصة يوسف كما جاءت في سورة يوسف ((تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة)) (٨١) .

ولمتابعة فاعلية التسمية في سياقات أخرى من السرد القرآني، وللوقوف على جمالياتها نجيء إلى قصة السيدة مريم ، لنجد الملاك الكريم يبشرها بغلام وصفه بأنه زكي ، قال تعالى على لسان الملاك : ((قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا))(٨٢) ، فلفظة (غلام) هنا

جاءت للدلالة على نبي الله عيسى ، إلا أنّ مجيئها في السياق القرآني بدلا عن الاسم الصريح لعيسى كان منسجما مع طبيعة الموقف الذي وجدت مريم فيه نفسَها ، وهو موقف جعلها تتساءل : ((قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا))[٨٣] .

فما يشغل مريم هنا هو محاولة فهم كيف يكون لها غلام ، بغض النظر عن اسمه، أو صفته، وسواء أكان ذلك الغلام نبيا أم غيرَ نبي، وهي لم تكن بذات زوج ولا يتصور منها الفجور- وإن كان ذكر هذه البشرى يأتي في موضع آخر من القران الكريم بمجيء الاسم الصريح للسيد المسيح ، وهو ما سوف نشير إليه بينما نجد السورة قد ابتدأت بذكر قصة زكريا وطلبه الولد من الله تعالى((إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا))[٨٤] وقد استجاب له الله تعالى وجاءته البشرى: ((يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا))[٨٥]، وهنا نلاحظ تسمية الغلام في سياق السرد القرآني باسمه يحيى، بينما نجد زكريا يتعجب: ((قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا))[٨٦]، فلفظة الغلام تأتي هنا في السياق القرآني على لسان زكريا مكتفيا بها دون أن يُعيد ذكرَ اسم يحيى، ليتناسب مجيئها مع ما كان عليه حال زكريا من تعجب ودهشة لان امرأته كانت عاقرا وقد بلغ هو من الكبر عتيا [٨٧]

فالموقف الذي فيه زكريا شبيه بموقف مريم عندما جاءها البشير ، ولهذا جاءت اللفظة (غلام) في هذين الموضعين من السياق القرآني لتعبر عمّا كانا فيه من التعجب والدهشة.

بينما نجد السرد القرآني قد حدد اسم (يحيى) صريحا على لسان المُبشّر، ((نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ)) ولهذا التصريح بالاسم علاقة واضحة بما طلبه زكريا من ربه سبحانه وتعالى، فقد طلب منه أن يهب له وليا يرثه: ((يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا)) [٨٨]، ولهذا جاء ذكر الغلام محددا باسم الذي يرث النبوة من زكريا ومن آل يعقوب .

ونلاحظ في سياق قراني آخر مجيء اسم يحيى صريحا ، موصوفا بصفات الرفعة والسيادة ، ومشارا فيه إلى نبوته ((فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ))[٨٩] ، إلا أننا نلاحظ أن مجيء لفظة (غلام) في سياق السرد القرآني على لسان زكريا بعد أن تلقّى البشرى من الملائكة جاء منسجما مع طبيعة حال التعجب التي كان فيها ، ((قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ))[٩٠] ولهذا يكون مجيء لفظة (غلام) هنا للدلالة على شدة اهتمام زكريا بمحاولة الحصول على تفسير لوقوع ما بُشِّر به ، لما عليه هو وزوجه من واقع لا يسمح بتحقيقه حسب قوانين الطبيعة إلا بمعجزة من الله تعالى ، فالخطاب الإلهي يُبشره بنبي من صلبه وهو يسأل : (أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ)، فزكريا هنا ((يواجه الواقع ، ويواجه

معه وعد الله ، وانه ليثق بالوعد ، ولكنه يريد أن يعرف كيف يكون تحقيقه مع ذلك الواقع الذي يواجهه ليطمئن قلبه ، وهي حالة نفسية طبيعية في مثل موقف زكريا النبي الصالح الإنسان، الذي لا يملك أن يغفل الواقع، فيشتاق أن يعرف كيف يغيره الله))[٩١]

وقد جاء اسم يحيى صريحا في موضعي البشرى كليهما ، في سورة مريم وفي سورة آل عمران ، إذ أن الخطاب القرآني الموجّه من الله تعالى إلى زكريا على لسان الملائكة كان خطابا يركز على مسالة النبوة (أي نبوة يحيى) ، بينما كانت ردة فعل زكريا هي التساؤلُ والعَجبُ من أن يكون له غلام وهو على هذه الحال .

وفي موضع آخر نجد السرد القرآني يصرح على لسان الملائكة باسم المسيح :((إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ))[٩٢] ، وكذلك يكون هذا الخطاب القرآني الموجّه من الله تعالى إلى مريم على لسان الملائكة خطابا يُركِّز على مسالة نبوة عيسى، بينما كانت ردة فعل مريم كردة فعل زكريا، هي التساؤل والعَجب من أن يكون لها غلام أو ولد وهي على ما هي عليه من البُعد عن الفجور: ((قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ))[٩٣]. فنحن هنا أمام ((قصة أعجب من قصة ميلاد يحيى ، انها قصة ميلاد عيسى ، وقد تدرج السياق من القصة الأولى ووجه العجب فيها هو ولادة العاقر من بعلها الشيخ ، الى الثانية ووجه العجب فيها هو ولادة العذراء من غير بعل ، وهي أعجب وأغرب))[٩٤].

فالخطاب الإلهي الموجه إلى مريم في سياق السرد القرآني يؤكد العناية بموضوع النبوة واسم النبي وصفاته: ((وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ))[٩٥].

وفي سياق سردي قراني آخر نجد اسم النبي إبراهيم يجيء صريحا في قوله تعالى ((وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ))[٩٦] ، متناسبا ومنسجما مع الدور الذي يؤديه بوصفه نبيا يُبلّغ عن طريق رسل الله تعالى بما سيحل بقوم لوط، إلا أننا نجد الملائكة تبشره (بغلام) وصفوه بأنّه (عليم)، إشارة إلى انه نبي: ((قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ))[٩٧] ، ولم يُصرّح هنا باسم الغلام، ولكن هل سنجد النبي إبراهيم يستقبل هذه البشرى بالدهشة والاستغراب والتعجُّب ؟ إنَّ النبي إبراهيم هنا لم يكن في موضع من يطلب الولد كما كان حال زكريا، كما أنَّ البشارة بالولد هنا لم تكن هي المحور الأساس الذي دار حوله حلول الملائكة ضيوفا عليه، وان تساؤله لم يكن منصبا حول مبدأ الخلق كما هو حال مريم عندما تعجبت من أمر حملها وهي على ما هي عليه من البعد عن الفجور، بل أنَّ النبي إبراهيم كان مستفهماً عن طبيعة البشارة ((فَبِمَ

تُبَشِّرُونَ))،[٩٨] ، ومتحققا للوعد، ولا يخفى ما لِـــورود المفردات : ((نُبَشِّرُكَ، وأَبَشَّرْتُمُونِي، وتُبَشِّرُونَ، وبَشَّرْنَاكَ))، من تأكيد تحقق البشارة ، فضلا عن تأكيدها بـــالجار والمجرور: (بالحق).

إننا هنا أمام شخصية فاعلة لها دورها في مجتمعها، تتسم بتحمل المسؤولية، وتنتقل بالحديث مع ضيوفها من الأمر الخاص إلى الأمر الأساس الذي جاءوا من اجله ، وهذا ما تشير إليه الآية على لسان إبراهيم : ((قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُون)) [٩٩] ، ليبدأ الملائكة بشرح مهمتهم التي جاءوا من اجل إتمامها بأمر من الله تعالى : ((قالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ۝ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِين ۝ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ))[١٠٠] ، وبعد ذلك ينتقل بنا السياق السردي القرآني من دار إبراهيم عليه السلام إلى تصوير مشهد الملائكة وهم عند النبي لوط عليه السلام[١٠١] ، وما أمروه به ، وما كان بينه وبين قومه ، وبيان نهايتهم: ((فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ۝ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ))[١٠٢]

ويأتي اسم النبي إبراهيم عليه السلام صريحاً في قصة لوط عليه السلام مع قومه وهذا ما نجده في سياق سردي قراني آخر:((وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ))[١٠٣] ، ويأتي هذا التصريح منسجما مع مكانة إبراهيم بوصفه نبيا يبلغ بما سيحل بقوم لوط ، كما نلاحظ أنَّ الإشارة إلى البشرى في هذا السياق تجيء موجزة ومختزلة، ليُنتقل بعدها إلى بيان المهمة التي جاء الملائكة المرسلون من اجل إتمامها ((فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ))[١٠٤] ، ولكن شخصية إبراهيم تفقد تسميتها على لسان زوجه لتصفه بما يتناسب مع الموقف الذي هي فيه مستخدمة لفظة (بعل) [١٠٥] التي تدل على العلاقة الزوجية التي من خلالها يستطيع الإنسان أن يحصل على الولد :((قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ))[١٠٦]، فإبراهيم النبي الذي يجادل الملائكة في قوم لوط هو نفسه ذلك البعل والشيخ كما تراه زوجه .

يمكن الإشارة إلى أن اسم النبي إبراهيم يأتي صريحا في قصة لوط مع قومه اينما وردت في القران الكريم، وهذا ما نجده في سياق سردي قراني آخر: ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ))[١٠٧].

يلاحظ أنَّ السياق السردي القرآني يعطي مساحة واسعة لامرأة النبي إبراهيم عليه السلام عندما يكون الموضوع متعلقا بالبشارة بالولد وهو ما لا يمنحه لإبراهيم، فالبشرى تأتي في

السياق السردي دالة على البشرى مطلقا عندما يكون المتلقي لها إبراهيم ، ونلاحظ ذلك في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ)) وقوله تعالى :((فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ)) وكذلك في قوله تعالى : ((وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ))(١٠٨) وفي قوله تعالى : ((وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ))، ولكن البشرى تأتي مُفصَّله عندما تكون المتلقية لها هي سارة امرأة إبراهيم عليه السلام: ((فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ))، وقد يكون ذلك عائدا إلى ما كانت تعانيه سارة من حالة العقم كما أشار إلى ذلك الكثير من المفسرين(١٠٩)

ولا يخفى هنا ما للتصريح بأسماء مَن بُشّرت بهم سارة : (إسحاق ويعقوب) من اثر كبير في نفسها، وتأكيد للبشرى، وإضفاء المهابة والجلال عليها لان المُبشَّر بهم أنبياء. كما يُلاحظ إطالة الملائكة الحوار معها إكراما لمنزلتها : ((قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ))،

وأطال الملائكة الحوار معها حيث ردوا على تعجبها :((قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ))(١١٠)

كما تجسدت تلك المساحة السردية الواسعة من خلال تصوير ما أصدرته سارة من صيحة وما رافقها من حركة تدل على التعجب : ((فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ)) (١١١)

خاتمة :

حاول الباحث من خلال هذه القراءة المتواضعة أن يضع اليد على جانب من تلك الجوانب الفنية العديدة التي يمتلكها السرد القرآني والتي تعبر عما يتصف به من إعجاز، وكانت تسمية الشخصية في القص القرآني إحدى تلك التقنيات الفنية التي وقفنا عندها مبهورين أمام دقائق أسرارها ، فقد كان لكل ظهور للتسمية في السرد القرآني دلالته كما يكون لإضماره دلالته ، فليس هناك ما يمكن أن يعد فائضا في السرد القرآني فلكل كلمة من حيث الظهور أو الإضمار دلالتها التي تؤديها خدمة للسياق القرآني الذي ترد فيه . وقد رافقنا النبي يوسف عليه السلام مذ القوه أخوته في غيابت الجُبِّ ولاحظنا ما كان للتسمية من فاعلية في قصته التي يوردها القران الكريم جسدها ذلك التحول من الإفصاح إلى الإضمار أو العكس انسجاما مع تغير المواقف التي تجد الشخصية نفسها فيها، فالسرد القرآني يوصل إلينا من خلال ذلك التحول المستمر للتسمية ما وصل إليه يوسف من التمكين وثبات الهوية، حتى نجده يصرح لإخوته انه هو يوسف وقد منّ الله عليه وعلى أخيه : ((قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا يُوسُفُ

وَهَٰذَا أَخِي ۖ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ۖ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)). ولا تخرج فنية التسمية في مواضع أخرى من السرد القرآني عما شهدناه في سورة يوسف ، فالإعجاز هو الإعجاز ، ولكل كلمة دلالتها في موقعها الذي ترد فيه . ولكل تحول دلالته .

الهوامش :

(١) يُنظر: في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد ، د . عبد الملك مرتاض ، ص٩٠.

(٢) يُنظر: الشخصية في عالم غائب طعمة فرمان الروائي، د. طلال خليفة سلمان، ص ٩ .

(٣) يُنظر فيليب هامون ص ٥٥ نقلا عن بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان– مقاربة بنيوية ، رسالة دكتوراه ، زهيرة بنيني ، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة ، ٢٠٠٨ . ص ٧١

(٤) يُنظر: في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، د. عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة ٢٤٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ،١٩٩٨، ص٩١.

(٥). يُنظر : مستويات السرد الاعجازي في القصة القرانية – دراسة ، شارف مزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠١ ، ص ٢٧

(٦) يُنظر : مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة : منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري ، ط ١ ، ١٩٩٣ ، ص ٧٢. وينظر: مفاهيم سردية : تزفيطان تودوروف، ص ٧١ .

(٧) يُنظر: بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي،المركز الثقافي العربي، ط ١، ،١٩٩ص ٢١٣.

(٨) جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري ، دار الزمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠، ص ٥٣.

(٩) يُنظر : مستويات السرد الاعجازي في القصة القرانية – دراسة ، ص ٢٨ .

(١٠) يُنظر : بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، ص ٢١٥

(١١) يُنظر : نظرية الادب رنيه ، اوستن وارين ، تعريب الدكتور عادل سلامة ، ط ٣ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢ م . ص ٣٠٢ .

(١٢) يُنظر: بنية الشكل الروائي ، ص ٢٤٨ ، وينظر : الرواية العربية – البناء والرؤيا –مقاربات نقدية : د. سمير روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص ١٣٢ وما بعدها .

(١٣) بنية الشكل الروائي، ص٢٤٧.

(١٤) في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، د . عبد الملك مرتاض، ص ٨٦.

* (التحولات التي تلحق صورة الاسم) عبارة استخدمها الباحث حسن بحراوي. يُنظر: ص ٢٥٧.

(١٥) يُنظر: معجم السرديات ، مجموعة من المؤلفين ، إشراف : محمد القاضي ، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، دار محمد علي للنشر– تونس، ص ٢٧٠.

(١٦) يُنظر : بنية النص السردي من منظور النقد العربي، د. حميد لحمداني ، ص٥٠ – ٥١ ويُنظر : معجم السرديات ،ص ٢٧١.

(١٧) يُنظر : محاضرات الملتقى الرابع/ السيمياء والنص الأدبي سيميائية الشخصية النسوية في رواية" راس المحنة" لعز الدين جلاوجي ، الدكتور هيمة عبد الحميد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة

(١٨) بنية النص السردي من منظور النقد العربي، ص 51.

(١٩) يُنظر: سيميوطيقا الشخصية السردية ، د. جميل حمداوي ، الموسوعة الثقافية ، ١٤٢ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٥ . ص ١٣٠ وما بعدها .

و (سيميـــــــاء اسم العلم الشخصي في الرواية العربية الدكتور جميل حمداوي)

http://almothaqaf.com/index.php/aqlam2009/40322.html

(٢٠) الكهف – الآية ٩

(٢١) الكهف – الآية ١٠

(٢٢) الكهف – الآية ٧٤

(٢٣) الكهف – الآية ٦٥

(٢٤) يُنظر : جماليات التلقي في السرد القرآني، ص ٥٨.

(٢٥) الكهف – الآية ٨٠

(٢٦) يُنظر : جماليات التلقي في السرد القرآني، ص٦٠ .

(٢٧) الكهف – الآية ٧٧

(٢٨) الكهف – الآية ٨٢

(٢٩) الكهف – الآية ٨١

(٣٠) الكهف الآية ٦٧

(٣١) الكهف – الآية ٧٢

(٣٢) الكهف – الآية ٦٦

(٣٣) يُنظر: جماليات التلقي في السرد القرآني ، ص ٦١.

(٣٤) الكهف – الآية ٦٥

(٣٥) يُنظر: جماليات التلقي في السرد القرآني ، ص ٦١.

(٣٦) يوسف – الآية ١٩

(٣٧) يوسف – الآية ١٠

(٣٨) يوسف – الآية ٣

(٣٩) في ظلال القران ، سيد قطب ، ص ١٩٥٠

(٤٠) يوسف – الآية ٦

(٤١) يوسف – الآية ٤

(٤٢) يوسف – الآية ٧

(٤٣) يوسف – الآية ٨

(٤٤) يوسف – الآية ٩

(٤٥) يوسف – الآية ١٠
(٤٦) يوسف – الآية ١١
(٤٧) يوسف – الآية ١٧.
(٤٨) يوسف – الآية ١٩
(٤٩) يوسف – الآية ٢٠
(٥٠) يوسف – الآية ٢١
(٥١) يوسف – الآية ٢٢
(٥٢) يوسف – الآية ٢٣
(٥٣) يوسف – الآية ٢٤
(٥٤) يوسف – الآية ٢٥
(٥٥) يوسف – الآية ٢٦
(٥٦) يوسف – الآية ٢٧
(٥٧) يوسف – الآية ٢٨
(٥٨) يوسف – الآية ٣٢
(٥٩) يوسف – الآية ٣٠
(٦٠) يوسف – الآية ٢٩
(٦١) يوسف – الآية ٣١
(٦٢) يوسف – الآية ٥١
(٦٣) يوسف – الآية ٣٩
(٦٤) يوسف – الآية ٣٧
(٦٥) يوسف – الآية ٣٨
(٦٦) يوسف – الآية ٤٦
(٦٧) يوسف – الآية ٥٥
(٦٨) يوسف – الآية ٥٦
(٦٩) يوسف – الآية ٢١
(٧٠) يوسف – الآية ٥٨
(٧١) يوسف – الآية ٦٩
(٧٢) يوسف – الآية ٧٦
(٧٣) يوسف – الآية ٧٧
(٧٤) يوسف – الآية ٨٠
(٧٥) يوسف – الآية ٨٤
(٧٦) يوسف – الآية ٨٥
(٧٧) يوسف – الآية ٨٧

(٧٨) يوسف – الآية ٩٤

(٧٩) يوسف – الآية ٩٠

(٨٠) يوسف – الآية ٩٩

(٨١) في ظلال القران ، سيد قطب ، ص ١٩٥١ ، ١٩٥٢

(٨٢) مريم – الآية ١٩

(٨٣) مريم – الآية ٢٠

(٨٤) مريم – الآية ٣

(٨٥) مريم – الآية ٧

(٨٦) مريم – الآية ٨

(٨٧) وجاء في تفسير القران العظيم لابن كثير : ((.. أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول

عمرها، بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام ، فأنهما إنما تعجبا من البشارة بإسحاق على كبرهما لا لعقرهما ، ولهذا قال

: ((أبشَّرتموني على أنْ مسني الكبر فبم تبشرون)) (الحجر : ٥٤) : تفسير القران العظيم لابن كثير، ج ٥، ص٢١٤

(٨٨) مريم – الآية ٦ . وجاء في تفسير القران العظيم لابن كثير: ((أنَّه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته وما يوحى إليه فأجيب في ذلك ... وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح : (نحن معشر الأنبياء لا نورث) ، وعلى هذا فتعين حمل قوله (فهب لي من لدنك وليا يرثني) ، على ميراث النبوة ولهذا قال (ويرث من آل يعقوب) كقوله: (وورث سليمانُ داودَ) (النمل : ١٦) أي في النبوة إذ لو كان في المال لما خصه من بين إخوته بذلك ولما كان في الإخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والملل أن الولد يرث أباه ، فلولا أنها وراثة خاصة لما أخبر بها ، وكل هذا يقرره ويثبته ما صح في الحديث (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة) وقال هشيم : أخبرنا اسماعيل بن ابي خالد عن ابي صالح في قوله :((يرثني ويرثُ من آل يعقوب)) قال : يكون نبياً كما كانت آباؤه أنبياء)) الجزء الخامس، ط ٢ ، ١٩٩٩ ، ص ٢١٢ – ٢١٣ . وجاء في ظلال القران :((إنَّه يخشى من بعده ، يخشاهم ألا يقوموا على تراثه بما يرضاه ، وتراثه هو دعوته التي يقوم عليها – وهو احد انبياء بني اسرائيل البارزين – وأهله الذين يرعاهم – ومنهم مريم التي كان قيما عليها وهي تخدم المحراب الذي يتولاه – وماله الذي يحسن تدبيره وإنفاقه في وجهه ، يخشى الموالى من ورائه على هذا التراث كله ، ويخشى الا يسيروا فيه سيرته .. قيل لأنه يعهدهم غير صالحين للقيام على ذلك التراث)) في ظلال القران ، سيد قطب ، ص ٢٣٠٢

(٨٩) آل عمران – الآية ٣٩

(٩٠) آل عمران – الآية ٤٠

(٩١) في ظلال القران ، سيد قطب ، ص ٢٣٠٣.

(٩٢) آل عمران – الآية ٤٥

(٩٣) آل عمران – الآية ٤٧

(٩٤). في ظلال القران ، سيد قطب ، ص ٢٣٠٤.

(٩٥) آل عمران الاية ٤٦

(٩٦) الحجر – الآية ٥١

(٩٧) الحجر – الآية ٥٣

(٩٨) جاء في تفسير ابن كثير :((ثم قال متعجبا من كبره وكبر زوجته و متحققا للوعد : (أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم

تبشرون) ، فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقا وبشارة بعد بشارة.((قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين))، تفسير

القران العظيم لابن كثير ، الجزء، ٤ ، ط٢، ١٩٩٩، ٥٤١.

(٩٩) الحجر – الآية ٥٧ – ٦٠

(١٠٠) الحجر – الآية ٥٨ – ٦٠

(١٠١) جاء في (تفسير القرطبي) : ((وكانت قرى لوط بنواحي الشام ، وإبراهيم ببلاد فلسطين فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا بإبراهيم ونزلوا عنده ، وكان كل من نزل عنده يحسن قراه، وكانوا مروا ببشارة إبراهيم ، فظنهم اطيافا))، الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي،ج ٩، ص ٦٢

(١٠٢) الحجر – الآية ٧٣–٧٤

(١٠٣) هود – الآية ٦٩

(١٠٤) هود – الآية ٧٠

(١٠٥) جاء في تفسير القرطبي،: ((وقيل : كان إبراهيم ابن مائة وعشرين سنة ، وقيل ابن مائة ، فكان يزيد عليها في قول

مجاهد سنة، وقيل إنَّها عرَّضتْ بقولها (وهذا بعلي شيخا) أي عن ترك غشيانه لها. ينظر:ج ٩، ص ٧٠. وجاء في

تفسير ابن كثير:((والبعل في هذا الموضع ، الزوج . وسُمِّي بذلك ، لأنَّه قيِّم أمرها ، كما سمّوا مالك الشيء بعله ، وكما

قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الأنهار والعيون (البعل). يُنظر: تفسير ابن كثير ، ج : ٤، ص

٢٩٥ . ويُنظر: لسان العرب : مادة بعل ، :((البعْلُ ما شرب بعروقه من الأرض بغير سقي من سماء ولا غيرها ... وإنما سُمي زوج المرأة بعلا لأنه سيدها ومالكها ... وبعلُ الشيء : ربُّه ومالكه)) ، مادة : بعل ، ص ٥٧ وما بعدها .

(١٠٦) هود – الآية ٧٢

(١٠٧) الذاريات – الآية ٢٤.

(١٠٨) العنكبوت – الآية ٣١

(١٠٩) جاء في تفسير ابن كثير: ((لما بعث اللّه الملائكة لقوم لوط أقبلت تمشي في صورة رجال شبان حتى نزلوا على إبراهيم

فتضيفوه، فلما رآهم أجلَّهم { فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين } فذبحه ثم شواه في الرضف وأتاهم به فقعد معهم،

وقامت سارة تخدمهم، فذلك حين يقول { وامرأته قائمة وهو جالس}))، ج ٤ ص٣٣٤

(١١٠) الذاريات – الآية ٣٠، وجاء في تفسير القرطبي قوله : ((ومن تلك البركات أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد

إبراهيم وسارة)) تفسير القرطبي : ج ٩ ، ص٧١ .

(١١١) الذاريات – الآية ٢٩ وجاء في تفسير الطبري: ((وقوله : (في صرَّة) يعني : في صيحةٍ . يُنظر : تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القران ، ص ١١٧ . وجاء في تفسير ابن كثير : أي في صرخة عظيمة ورنة ، وهي قولها: (يا ويلتا) ، (فصكت وجهها) أي ضربت بيدها على جبينها ، لطمت أي تعجبا كما تتعجب النساء من الأمر الغريب ، وقالت : (عجوز عقيم) ، أي كيف ألد وأنا عجوز وقد كنت في حال الصبا عقيما لا أحبل؟ .

وجاء في تفسير الطبري: (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا)، ضربت بِيَدَهَا جَبْهَتِهَا تَعَجُّبًا، وَالصَّكُّ عِنْد الْعَرَب: هُوَ الضَّرْب. وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ صَكَّهَا وَجْهَهَا , أَنْ جَمَعَتْ أَصَابِعَهَا ، فَضَرَبَتْ بِهَا جَبْهَتَهَا، وقالت: (عجوز عقيم))) يُنظر: تفسير الطبري ، ج ٧، ص ١١٧.

وجاء في كتاب في ظلال القران :(((فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها ، وقالت : عجوز عقيم) .. وقد سمعت البشرى ، فبغتت وفوجئت ، فندت منها صيحة الدهش ، وعلى عادة النساء ضربت خديها بكفيها ، وقالت : عجوز عقيم ، تنبيء عن دهشتها لهذه البشرى وهي عجوز ، وقد كانت في الاصل عقيما)) : في ظلال القران ، سيد قطب الاجزاء ١-٤ ، دار الشروق ، ط٢ ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٣٨٣.

و جاء في لسان العرب :((الصكُّ : الضرب الشديد بالشيء العريض ، وقيل : هو الضرب عامة بأيِّ شيء كان ، ... وصكَّه إذا ضربه .. ومنه قوله تعالى : فصكت وجهها)) لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي ، مادة : صكك ، المجلد العاشر ، ، دار صادر– بيروت ، ص ٤٥٦

اهم الاسماء المعرفة والنكرات الواردة في البحث :

غلام ، غلامان ، بعل ، ولـــد، ابو ، العبد الصالح ، اصحاب الكهف ، يوسف ، إبراهيم ،اسحاق ، يعقوب ، يحيى ، زكريا ، مريم ، عيسى ، المسيح .

المصادر :

- القران الكريم .

- بنية الخطاب الروائي عند غادة السمان – مقاربة بنيوية، رسالة دكتوراه، زهيرة بنيني، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة ، ٢٠٠٨

- بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م.
- بنية النص السردي من منظور النقد العربي، حميد لحمداني ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الدار البيضاء، ط ٣، ٢٠٠٠.
- الجامع لأحكام القران لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي،ج ٩، ط ١، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٩.
- تفسير القران العظيم لابن كثير ، تحقيق سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الجزء، ٤ ،ج ٥ ، ط٢، ١٩٩٩، ٥٤١.
- جماليات التلقي في السرد القرآني ، د. يادكار لطيف الشهرزوري ، دار الزمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠
- الرواية العربية – البناء والرؤيا – مقاربات نقدية : د. سمير روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠٣.
- سيميـــــــاء اسم العلم الشخصي في الرواية العربية الدكتور جميل حمداوي http://almothaqaf.com/index.php/aqlam2009/40322.html
- سيميوطيقا الشخصية السردية ، د. جميل حمداوي ، الموسوعة الثقافية ، ١٤٢ ، سلسلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق – بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٥ .
- الشخصية في عالم غائب طعمة فرمان الروائي ، د. طلال خليفة سلمان ،وزارة الثقافة ، بغداد ، ط ١ ، ٢٠١٢ ، ص ٩ .
- في ظلال القران ، سيد قطب الأجزاء ١-٤ ، دار الشروق ، ط٢ ، ٢٠٠٣ .
- في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد ، د . عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ٢٤٠ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ،١٩٩٨ .
- محاضرات الملتقى الرابع/ السيمياء والنص الادبي سيميائية الشخصية النسوية في رواية" راس المحنة" لعز الدين جلاوجي ، الدكتور هيمة عبد الحميد ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي ، مادة : صكك ، المجلد العاشر ، ، دار صادر- بيروت
- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، رولان بارت ، ترجمة : منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري ، ط ١ ، ١٩٩٣.

مستويات السرد الاعجازي في القصة القرآنية – دراسة ، شارف مزاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق ، ٢٠٠١

– معجم السرديات ، مجموعة من المؤلفين ، اشراف : محمد القاضي ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠ ، دار محمد علي للنشر – تونس.

– مفاهيم سردية : تزفيطان تودوروف ، ترجمة عبد الرحمان مزيان ، منشورات الاختلاف ، ط ١ ، ٢٠٠٥ .

– نظرية الادب رنيه ، اوستن وارين ، تعريب الدكتور عادل سلامة ، ط ٣ ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢ م .

– جماليات التلقي في السرد القرآني ، د. يادكار لطيف الشهرزوري ، دار الزمان ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠.